تسلية المصاب

بفقد الأحباب

مقدمة

إنّ الحمدَ لله، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله مِن شُرورِ أنفسنا ومِن سيئات أعمالنا، مَن يَهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

ثمّ أمّا بعد..

فإنّ الدنيا دار ابتلاء وتمحيص، ولا يخلو فيها أحدٌ من بلاء، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ (البلد: ٤)، إلّا أنّ أكثر النّاس لا يرون البلاء إلّا في فقدان الأحبة أو فقدان أعراض الدنيا، فرأيتُ أن أستعين بالله وأكتب هذه الرسالة تصحيحًا للمفهوم وتسليةً لكل مهموم، عسى أن يكون مرجعًا لكل مبتلىً بفقد الأحبة، يتسلّى به عن مصابه ويتعزّى بقراءته عن فقد أحبابه، والله المستعان، وإليه المرجع والمآب.

وكتبه
دكتور/ هشام عبد الجواد الزهيري

الفصل الأول

التعريف بالبلاء وحقيقته

البلاء لغةً: بمعنى الاختبار والامتحان، ويكون في الخير والشر سواء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء:٣٥).

فإذا عرف المرء ذلك لم ينخدع برعونات النفس، فإنّه ربما نزل به بلاءٌ في أمرٍ معين، فيجزع وتقول له نفسه: لو كان البلاء بغير هذا لصبرت، فإذا علم المرء أنّ البلاء امتحانٌ واختبارٌ فهم أنّه لا يكون كذلك حتى يكون بما لا يحبه المرء، فالاختبار الحقيقي أن تُبتلى بما لا تحبه نفسك ويصعب عليها احتماله، لا فيما يسهل عليها احتماله.

والبلاء كما يكون بالسراء يكون بالضراء، والصبر على السراء قد يكون أشدّ؛ قال بعض السلف: «البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر ـ يعني البلاء بالضراء ـ ولا يصبر على العافية إلّا الصديقون»، وعن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: «ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنّما كان الصبر عند السراء شديدًا لأنّه مقرون بالقدرة، والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره» (من كتاب عدة الصابرين).

❁ وكذا قد تكون المصيبة في الدين كما تكون في الدنيا، بل مصيبة الدِّين أشدّ؛ فقصارى مصيبة الدنيا فقد العبد لها ولمن فيها، وأمّا مصيبة الدِّين فقد تكون بخسران العبد للآخرة، بل وللدنيا كذلك؛ إذ حياة العاصي كلا حياة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه:١٢٤)، ولذا صحّ عن رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه كان يدعو: «ولا تجعل مصيبتنا في ديننا».

الفَصْلُ الثَّانِي

التعريف بالصبر وفضله

«**الصبر لغةً**: هو الحبس والمنع.

وشرعًا: حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما، ويقال: صبر إذا أتى بالصبر، وتصبَّر إذا تكلفه واستدعاه، واصطبر إذا اكتسبه وتعلّمه، وصابر إذا وافق خصمه في مقام الصبر، وصبَّر نفسه وغيره إذا حملها على الصبر» (أفاده ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتاب «عدة الصابرين»**: «حقيقة الصبر خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس تمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها»، قال أبو علي الدقاق: «حد الصبر ألّا يعترض على تقدير الله»، وقيل: «هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب»، وقيل: «هو الاستعانة وترك الشكوى».

قلتُ: «والنفس فيها قوتان: قوة الإقدام، وقوة الإحجام، فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفةً إلى ما ينفعه، وقوة الإحجام إمساكًا عمّا يضره» (انتهى كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتصرف).

❁ والصبر واجبٌ بإجماع المسلمين، بل الحد الأدنى منه شرطٌ لصحة الإيمان، فمن اعتقد أنّ الله ظلمه بالبلاء أو يأس من رحمة الله بالكلية فقد كفر وخرج من المِلّة.

والصبر أنواع:

(أ) الصبر على السراء والنعماء:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وذلك بأمور:**

أحدها- ألّا يركن إليها ولا يغتر بها ولا تحمله على البطر والفرح المذموم الذي لا يحب الله أهله.

الثاني- ألّا ينهمك في نيلها ويبالغ في استقصائها، فإنها تنقلب إلى أضدادها، فمن بالغ في الأكل والشرب والجماع انقلب ذلك إلى ضده، وحرم الأكل والشرب والجماع.

الثالث- أن يصبر على أداء حق الله فيها ولا يضيعه فيسلبها.

الرابع- أن يصبر عن صرفها في الحرام، فلا يمكِّن نفسه من كل ما تريد منها، فإنها توقعه في الحرام» (انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كتاب عدة الصابرين).

(ب) الصبر على الأقدار المؤلمة (الضراء):

وهو اطمئنان النفس بقَدَر الله، ولا ينافي هذا الصبر تمنّي زوال البلاء وعدم الرضا به طالما لم يجزع المرء أو يتسخط، وهذا الصبر واجب.

فائدة:

لا ينافي الصبر إظهار المرض والإخبار به إذا صحت به النية والمقصد.

قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومقاصد إظهار البلاء ثلاثة:

الأول- أن يكون غرضه التداوي، فيحتاج إلى ذكره للطبيب، فيذكره في معرض الحكاية لا في معرض الشكاية.

الثاني- أن يصف لغير الطبيب ويكون ممّن يُقتدى به ليصبِّر غيره كما في الصحيح أنّ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: وارأساه، فقال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بل أنا يا عائشة وارأساه**».

وعن الحسن البصري أنّه قال: «إذا حمد المريضُ ربه وشكره ثمّ ذكر وجعه لم يكن ذلك شكوى».

قلتُ: بشرط أن يكون حمده من قلبه لا بمجرد اللسان، وأن يكون إخباره على وجه الحكاية لا الشكاية.

الثالث- أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره إلى الله، وذلك يحسن ممّن تليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز» (انتهى كلامه من كتاب «الإحياء» بتصرف).

قلتُ: الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر بخلاف الشكوى إلى المخلوق، فقد أخبر سبحانه عن نبيه يعقوب أنّه وعد وقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (يوسف:١٨)، أخبر عنه أنّه قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٨٦)، فدلّ على أنّ الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، فالصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه للمخلوق.

قال عليّ بن أبي طالب: «من إجلال الله ومعرفة حقه: ألّا تشكو وجعك، ولا تذكر مصيبتك».

وعن الفضيل أنّه قال: «أشتهي مرضًا بلا عوّاد» يقصد أنهم يحوجونه إلى التحدث عن مرضه وهو لا يريد ذلك رضًا منه بقضاء الله وقدره.

وقال الأحنف: «لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتُها لأحد».

وقال بعض السلف: «مَنْ بثّ (أي: اشتكى إلى المخلوق) لم يصبر».

وقال شقيق البلخي: «من شكى مصيبته إلى غير الله (أي: على وجه الجزع) لم يجد في قلبه حلاوة الطاعة أبدًا».

وقال بعض السلف: «إذا ترك شيئًا ممّا كان يفعله قبل المصيبة فقد جزع».

وقال عبيد بن عمير: «الجزع: القول السيء والظنّ السيء» أي: يظنّ بالله شرًا، والعياذ بالله.

وقال كعب الأحبار: «كانوا يكرهون التحذيف، قيل: وما التحذيف؟ قال: يصبح الناس بخير فيُسئلون؟ فيزعمون أنّهم بشرّ».

وقال بكر المزني: «كان يقال: من الجزع الجلوس في البيت بعد المصيبة».

وأعلى من الصبر الرضا: وهو اطمئنان النفس بقدر الله وعدم تمني زواله لما فيه من ثواب الله كمن تناول دواءً طعمه مرٌّ، فهو راض به على مرارته لما فيه من شفاء بإذن الله.

وأما الشكر: فهو أعلى الدرجات، وهو أن يشكر العبد على البلاء، كما يشكر على النعماء، والرضا والشكر مستحبان.

فائدة:

قد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «طريق الهجرتين» أسبابًا للصبر على البلاء، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصبر على البلاء ينشأ من أسبابٍ عديدة:

أحدها- شهود جزائها وثوابها.

الثاني- شهود تكفيرها للسيئات ومحوها لها.

الثالث- شهود القدر السابق الجاري بها، وأنها مقدرة في أمّ الكتاب قبل أن تُخلق، فلابد منها، فالجزع لا يزيده إلّا بلاءً.

الرابع- شهود حق الله عليه في تلك البلوى، وواجبه فيها الصبر بلا خلاف بين الأمّة، أو الصبر والرضا على أحد القولين، فهو مأمور بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى؛ فلابد له منه، وإلّا تضاعفت عليه.

الخامس- شهود ترتبها عليه بذنبه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى: ٣٠)، فهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة، فشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم الأسباب في دفع تلك المصيبة.

قال عليّ بن أبي طالب: «ما نزل بلاءٌ إلّا بذنب، ولا رُفع إلّا بتوبة».

السادس- أنْ يعلم أنّ الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها، وأنّ العبودية تقتضي رضاه بما رضي به سيده ومولاه، فإن لم يُوَفِّ قدر المقام حقه فهو لضعفه، فلينزل إلى مقام الصبر عليها، فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدِّي الحق.

السابع- أن يعلم أنّ هذه المصيبة هي دواءٌ نافعٌ ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته الرحيم به؛ فليصبر على تجرعه، ولا يتقيؤه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلًا.

الثامن- أن يعلم أنّ في عقبى هذا الدواء من الشفاء والصحة والعافية وزوال الألم ما لم يتحصل بدونه، فإذا طالعته نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته؛ فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

التاسع- أن يعلم أنّ المصيبة ما جاءت لتقتله وتهلكه؛ وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه، فيتبين هل يصلح لاستخدامه وجعله من أولياء الله وحزبه أم لا؟ فإن ثبت اصطفاه وخلع عليه خُلَعَ الإكرام وألبسه ملابس الفضل، وجعل أوليائه وحزبه خدمًا له وعونًا له، وإن انقلب على وجهه ونكص على عقبيه طُرِد وأُقصي، وتضاعفت عليه المصيبة، وهو لا يشعر في الحال بتضاعفها وزيادتها، ولكن سيعلَم بعد ذلك أنّ المصيبة صارت في حقه مصائب، كما يعلم الصابر أنّ المصيبة صارت في حقه نعمًا عديدة» (انتهى كلامه).

وقال الماوردي «في أدب الدنيا والدين»: «وممّا يعين العبد على الصبر أن يتأسّى بذوي الغِيَر، ويتسلّى بذوي العِبَر، ويعلم أنّهم الأكثرون عددًا والأسرعون مددًا، فيستجدّ ما يخفِّف شجوه، ويقلّ هلعه.

وقال عمر بن الخطاب: «ألصِقوا بذوي الغِيَر تتّسع قلوبكم».

ومنها أن يعلم أنّ النعم زائرة، وأنّها لا محالة زائلة، وأنّها لا تحدث بإقبالها فرحًا حتى تعقب بفراقها ترحًا، فعلى قدر السرور يكون الحزن.

وقد قيل للحسن البصري: كيف ترى الدنيا؟ فقال: شغلني توَقّع بلائها عن الفرح برخائها، وقيل من عرف الدنيا وخبر أحوالها هان عليه بؤسها ونعيمها، وقيل: من كان للبلاء متوقِّعًا لم يكن متوجِّعًا.

ومنها: أن يعلم أنّه قلّ مَنْ صبر على حادثةٍ وتماسك في نكبة إلّا كان انكشافها وشيكًا، وكان الفرج منه قريبًا.

وقد قيل:

وكلُّ الحادثات إذا تناهتْ فموصولٌ بها الفَرَجُ القريبُ»

(انتهى بتصرف)

(جـ) صبر عن معصية الله:

وهو أن يترك العبد المعاصي، ويثبت على تركها فلا يُفتن بشهوات ولا شبهات.

(د) صبر على طاعة الله:

وهو أن يأتي العبد الطاعات ويداوم على فعلها.

وعن النوع الأول من أنواع الصبر يدور حديثنا في هذه الرسالة، أعني الصبر على البلاء.

وللصبر على البلاء فضائل كثيرة وردت في الكتاب والسُّنّة وأقوال الصالحين والحكماء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾.

(البَقَرَة: ١٥٥، ١٥٦)

فما أعظم شرف الصابر إذ يذكره الله في الملأ الأعلى باسمه، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ (البقرة: ٤٥).

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

وجعل سبحانه الفوز بالجنّة والنجاة من النار لا يحظى به إلّا الصابرون فقال: ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (المؤمنون: ١١١)، وجعل الإمامة في الدين منوطةً بالصبر واليقين فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ٢٤)، وأخبر أنّ مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو فقال: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (آل عمران: ١٢٠)، وأخبر أنّه مع الصابرين بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين: ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٤٦)، وعلّق المغفرة والأجر بالصبر والعمل الصالح فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (هود: ١١).

وقال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن كمثل الزرع: لا تزال الرياح تفيئه، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز: لا تهتز حتى تستحصد**». (رواه مسلم)

وفيه: أن المؤمن يبتلى في الدنيا لينعم في الآخرة، وأما المنافق فيظل سليمًا في دنياه ليعذب في الآخرة.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن يرد الله به خيرًا يُصِب منه**» (رواه مالك والبخاري).

يصب منه: أي يصيبه بالبلاء.

قلتُ: وذلك لما في البلاء من تكفيرٍ للخطايا ورفعة للدرجات، كما أنّ العبد إذا كان في نعمةٍ وعافية ربما أعرض عن دعاء ربه واللجوء إليه، فإذا ابتلاه ربه تقرّب إليه بالطاعة.

وعن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحب الله قومًا ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع**» (رواه أحمد وصححه الألباني).

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**». (رواه ابن ماجه والترمذي وصححه الألباني)

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك، عليه قطيفة، فوضع يده فوق القطيفة فقال: من أشد الناس بلاءً؟ قال: «**الأنبياء**»، قال: ثم من؟ قال: «**العلماء**»، قال: ثم من؟، قال: «**الصالحون؛ كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله، ويبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها، ولَأَحَدُهم كان أشد فرحًا بالبلاء من أحدكم بالعطاء**» (رواه ابن ماجه، وابن أبي الدنيا في كتاب «المرض والكفارات»، والحاكم، وصححه الألباني).

قلتُ: وفرحهم لما في البلاء من ثواب ورفعة درجات، كما أنَّ البلاء اختبار حقيقي للصبر والرضا، فربما ظن العبد نفسه صابرًا أو راضيًا، فإذا به يجزع عند البلاء، فمن صدق إيمانه فرح بالبلاء لظهور حقيقة إيمانه.

وفي رواية لمسلم: «**لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا نقص الله بها من خطيئته**»، **وفي أخرى**: «**إلا رفعه الله بها درجة، وحَطَّ عنه خطيئة**».

ولكن رفعة الدرجات وتكفير الخطايا مرهونٌ بصبر العبد على البلاء وعدم تسخّطه على قضاء ربه؛ ففي الحديث: «**إذا ابتلى اللهُ العبدَ بالسُّقم أرسل اللهُ إليه ملكَيْن وقال:**

اسْمَعَا ما يقولُ عبدي هذا لعُوَّادِهِ؛ فإنْ حَمِد الله وأثنى عليه خيرًا بلَّغا ذلك عنه، فيقولُ الله: إنّ لعبدي هذا عليّ إن أنا توفّيتُه أن أدخله الجنّة، وإنْ أنا شفَيتُه أن أبدله لحمًا خيرًا مِنْ لحمه، ودمًا خيرًا من دَمِه وأغفرَ له» (حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: ٣٤٣١)، وفي حديث آخر: قَالَ اللهُ تَعَالَى: **«إذا ابتليتُ عبدي المؤمن ولم يَشكُني إلى عُوَّاده؛ أطلقتُه من أساري ثمّ أبدلتُه لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، ثمّ يستأنف العمل»** (صحيح الجامع برقم:٤٣٠١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»** (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني).

وقال أيضًا ﷺ: **«مَثَلُ المؤمن حين يصيبه الحُمَّى أو الوَعْكُ مَثَلُ حديدةٍ تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طِيبُها»** (انظر صحيح الجامع برقم: ٢٣٧٠).

وعن محمد بن خالد عن أبيه عن جده، كانت له صحبة من رسول الله ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل ابتلاه الله في جسده، أو ماله، أو في ولده ثم صبر على ذلك حتى يبلِّغه المنزلة التي سبقت له من الله عَزَّوَجَلَّ»** (رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الألباني).

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: **«ما يصيب المؤمن من نصب ولا وَصَب، ولا هَمّ ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»** (رواه البخاري ومسلم).

وعن صهيب الرومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«عجبًا لأمر المؤمن إنّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيرًا له»** (رواه مسلم).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنّ الله سبحانه لا يقضي لعبده المؤمن قضاءًا إلّا كان خيرًا له، ساءه ذلك القضاء أو سرّه. فقضاؤه لعبده المؤمن عطاء، وإن كان في صورة المنع، ومنعه نعمة وإن كانت في صورة محنة، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بلية، ولكن لجهل العبد وظلمه لا يَعُدُّ العطاء والنعمة والعافية إلّا ما التذَّ به في العاجل وكان ملائمًا لطبعه، ولو رزق من المعرفة حظًا وافرًا لعَدَّ المنع نعمةً والبلاء رحمةً، والراضي يعدّ نعم الله عليه فيما يكرهه أكثر وأعظم من نعمه عليه فيما يحبّه».

كما قال بعض السلف: «ارضَ عن الله في جميع ما يفعلُه بك؛ فإنّه ما منعك إلّا ليعطيك، ولا ابتلاك إلّا ليعافيك، ولا أمرضك إلّا ليشفيك، ولا أماتك إلّا ليحييك، فإيّاك أن تفارق الرضى عنه طرفة عين؛ فتسقط من عينه».

وقال أيضًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ومَن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**» (متفق عليه).

وقال أيضًا: «**والصبر ضياء**» (رواه مسلم)؛ أي: يضيء للعبد طريقه إلى الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ أو يضيء قبر العبد أو يضيء له الطريق على الصراط يوم القيامة.

فَصْلٌ

وهذه أقوال بعض السلف في فضل الصبر:

قال عمر بن الخطاب: «وجدنا خير عيشنا بالصبر».

وقال عليّ بن أبي طالب: «إنّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ألا إنّه لا إيمان لمن لا صبر له».

وقال ابن عباس: «أفضل العدّة الصبر على الشدة».

وقال الحسن: «الصبر كنزٌ من كنوز الخير لا يعطيه الله إلّا لعبدٍ كريمٍ عنده».

وقال عمر بن عبد العزيز: «ما أنعم اللهُ على عبدٍ من نعمةٍ فانتزعها منه، فعاضه مكانها الصبر إلّا كان عوضُه خيرًا ممّا انتزعه».

وقال ميمون بن مهران: «ما نال أحدٌ خيرًا إلّا بالصبر».

وقال سليمان بن القاسم: «كلُّ عملٍ يُعرف ثوابه إلّا الصبر».

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)، قال: كالماء المنهمر.

وقال بعض السلف: «مَن أُعطي فشكر، ومُنع فصبر، وظُلم فغفر، وظَلم فاستغفر، فأولئك لهم الأمن وهم مهتدون».

الفصل الثالث
تسلية المصاب بفقد الولد

وهذا المصاب بفقد الولد لا يخلو من أحوال، وقد ورد لكلٍ بفضل الله التسلية:

(أ) من ابتلي بفقد اثنين من الولد فأكثر بشرط كونهم ماتوا قبل البلوغ:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحِنْث؛ إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم**» (رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه).

وفي رواية للنسائي: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن احتسب ثلاثة من صُلْبه دخل الجنة**»، فقامت امرأة فقالت: أو اثنان؟ فقال: «**أو اثنان**»، قالت المرأة: يا ليتني قلت: واحدًا (صححه الألباني).

والحنث: هو الإثم والذنب، والمعنى أنهم لم يبلغوا السن الذي تكتب فيه الذنوب.

وعن عتبة بن عبد السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل**» (رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني).

وعن حبيبة أنها كانت عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فجاء النبي ﷺ حتى دخل عليها فقال: «**ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا جيء بهم يوم القيامة حتى يوقفوا على باب الجنة فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: لا، حتى تدخل آباؤنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم**» (رواه الطبراني، وصححه الألباني).

وعن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت له: حدثنا حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وهم، قال: سمعته يقول: «**من ولد له**

ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث؛ أدخله الله الجنة برحمته إياهم، ومن أنفق زوجين في سبيل الله؛ فإن للجنة ثمانية أبواب يُدْخله الله من أي باب شاء من الجنة» (رواه أحمد، وصححه الألباني).

(ب) من ابتلي بفقد اثنين فأكثر، ولو كانوا بالغين بشرط احتسابهم والصبر على فقدهم:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد؛ فتمسّه النار إلا تَحِلَّة القسم**».

(رواه البخاري، ومسلم، ومالك، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه)

ولمسلم: أن رسول الله ﷺ قال لنسوة من الأنصار: «**لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبهم إلا دخلت الجنة**»، فقامت امرأة بصبي لها، فقالت: يا نبي الله، ادع الله لي، فلقد دفنت ثلاثة؟ فقال: «**أدفنت ثلاثة؟**» قالت: نعم، قال: «**لقد احتظرت بحظار شديد من النار**» (رواه مسلم).

والحظار: هو الحائط المنيع.

قلتُ: وعموم هذه الأحاديث يدل على أن الثواب يشمل من مات له ثلاثة سواء كانوا بالغين أو غير بالغين، وسواء كانوا صالحين أو غير صالحين.. طالما احتسبهم أبوهم.

وجاءت امرأة فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتك فيه تعلمنا مما علمك الله، قال: «**اجتمعن يوم كذا وكذا في موضع كذا وكذا**»، فاجتمعن فأتاهن النبي ﷺ فعلَّمهن مما علمه الله، ثم قال: «**ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابًا من النار**»، فقالت امرأة: واثنين؟ قال رسول الله ﷺ: «**واثنين**» (رواه البخاري ومسلم وغيرهما).

قلتُ: وعمومه أيضًا يدل على دخول غير البالغين وغير الصالحين ـ والله أعلم ـ، ولكن يقيد عمومه باشتراط الصبر، بدليل الأحاديث الأخرى التي فيها التقييد بالاحتساب.

وعن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مُسْلِمَين يموت لهما أربعة أولاد؛ إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته**»، قال رجل: يا رسول الله، وثلاثة؟ قال: «**وثلاثة**»، قال: واثنان؟ قال: «**واثنان**».

(رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده، وأبو يعلى بإسناد صحيح)

(جـ) من ابتلي بفقد ولدٍ واحد:

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم دخل الجنة**»، قال: قلنا: يا رسول الله، واثنان؟ قال: «**واثنان**»، قال محمود، يعني ابن لبيد: فقلت لجابر: أراكم لو قلتم واحدًا لقال واحدًا، قال: وأنا أظن ذلك (رواه أحمد وابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني).

وعن قرة بن إياس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له، فقال النبي ﷺ: «**تحبه؟**» قال: نعم يا رسول الله، أحَبَّك الله كما أُحبُّه، ففقده النبي ﷺ فقال: «**ما فعل فلان بن فلان؟**» قالوا: يا رسول الله، مات، فقال النبي ﷺ لأبيه: «**ألا تحب أن لا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك؟**» فقال رجل: يا رسول الله، أله خاصة أم لكلنا؟ قال: «**بل لكلكم**».

(رواه أحمد، وصححه الألباني)

وفي رواية للنسائي: قال: كان نبي الله ﷺ إذا جلس جلس إليه نفر من أصحابه، فيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه، فهلك فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه، ففقده النبي ﷺ فقال: «**ما لي لا أرى فلانًا؟**» قالوا: يا رسول الله، بنيه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي ﷺ فسأله عن بنيه فأخبره

أنه هلك، فعزاه عليه ثم قال: «**يا فلان، أيما كان أحب إليك؟ أن تتمتع به عمرك، أو لا تأتي إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك**» قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لهو أحب إليَّ، قال: «**فذلك لك**» (صححه الألباني).

وعن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحديث يطيب أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم.. «**صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه**» أو قال: «**أبويه، فيأخذ بثوبه**»، أو قال: «**بيده**» ـ كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا ـ «**فلا يتناهى**»، أو قال: «**ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة**» (رواه مسلم).

الدعاميص: بفتح الدال: جمع دعموص بضمها، وهو اسم للرجل الزوار للملوك، الكثير الدخول عليهم والخروج، لا يتوقف على إذن منهم، ولا يخاف أين ذهب من ديارهم، شبه طفل الجنة به لكثرة ذهابه في الجنة حيث شاء لا يمتنع من بيت فيها ولا موضع، فهو ممكَّن في الجنة حيث شاء.

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد**».

(رواه الترمذي وحسنه، وابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني)

قلتُ: فيرجى لمن مات ولده فحمد واسترجع أن يُبنى له هذا البيت.

وعن أبي سلمى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ راعي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**بخ بخ**»، وأشار بيده: «**لَخَمْسٌ ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والولد الصالح يُتَوفَّى للمرء المسلم فيحتسبه**».

(رواه النسائي، وابن حبان، وصححه الألباني)

قلتُ: والتقييد بصلاح الولد يدل على أنَّ ثواب الصبر على فقد الصالح أكبر منه على فقد غير الصالح.

(د) من ابتلي بفقد سقط ولو كان قبل إكمال الشهر التاسع:

قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إن السقط ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته**» (رواه أحمد، والطبراني، وحسنه المنذري).

قلتُ: وفيه البشارة لكل أمٍّ مات سقطها أن يدخلها السقط الجنة بشرط أن يكون قد علق بالحبل السري، ويُرجى مثل ذلك للأب ـ إن شاء الله ـ.

والسقط: كل ما تضعه المرأة وفيه ملامح الأعضاء ولو بدايات الأعضاء ولو بعد أربعين يومًا من الحمل به.

تنبيهات:

١- يسن للمبتلى بفقد ولده ولغيره من المبتلين أن يقولوا: «**إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اؤجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها**»، ففي الحديث عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اؤجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، إلا أجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرًا منها**».

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي خيرًا منه: رسول الله ﷺ. (رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي)

قلتُ: فنرجو لمن مات ولده فقال ذلك بصدق وإخلاص: أن يعوِّضه الله خيرًا.

٢- الصبر الواجب هو ما كان عند أول إخبار بالمصيبة، ففي الحديث الذي في الصحيح: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»؛ وذلك لأن المصيبة إذا تقادم عهدها سهل الصبر عليها، فمن استطاع أن يصبر عند أول الصدمة كان هو الصابر حقًا.

٣- لا ينافي الصبر ولا الرضا حزن القلب وبكاء العين، فقد بكى رسولنا ﷺ عند موت ابنه إبراهيم وقال: «**إنّ القلب ليحزن وإنّ العين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون**».

ولما عاد ﷺ ولد ابنته وهو يجود بنفسه دمعت عيناه، فقال أحد صحابته: حتى أنت يا رسول الله؟!، فقال: «**إن الله لا يعذِّب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا** ـ وأشار إلى لسانه ـ **أو يرحم**» (متفق عليه).

فالحزن حق المخلوق الذي مات، والصبر والرضا حق الرب، فلا منافاة بينهما، فطبيعة النفس تقتضي الحزن على فوات الأحبة وفقدهم، والشرع لا يأمر بما يخالف الفطرة والجبلة، ولكنه يأمر العبد ويحثه على الرضا بقضاء الله، فلا يقضي الله لعبده المؤمن إلا ما فيه خيره وصلاحه.

٤- في قصة الخضر مع الغلام الذي قتله أكبر مصبر لكل من ابتلي بفقده ولده. فظاهر قتل الخضر للغلام منكر، ولذا لامه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على ذلك، ولكن باطن الأمر خير ومعروف، إذ لو عاش الغلام لكفر ولكفر أبواه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (الكهف: ٨٠، ٨١)، فنقول لكل من فقد ولده: لا تحزن، فربما لو عاش لكفر وكفرت معه، أفتختار حياته مع كفره، أم تختار موته على الإسلام مع جزيل الثواب لك؟

وحتى من مات ابنه بعد البلوغ وهو فاسق: فلا ينبغي الحزن عليه أيضًا، إذ ربما لو عاش لتمادى في الفسق حتى يكفر، فموته على الإسلام نعمة تستحق الشكر.

ومن رحمة الله بعباده المؤمنين أنّه يجمعهم في الآخرة كما كانوا مجتمعين في الدنيا، ولو كان عمل بعضهم أقل من عمل الآخرين، فإنّه يُعلي منازلهم؛ إذ من كمال سعادة الأحبة أن تجتمع في الآخرة كما كانت في الدنيا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١)، وأمّا الكفار فيخسرون أنفسهم وأهاليهم يوم القيامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (الشورى: ٤٥).

الفصل الرابع

تسلية المصاب بفقد عزيز - أيًا من كان -

سواء أكان هذا المفقود هو الزوج أم الزوجة أم أحد الوالدين أم قريب من الأقرباء أم أخ في الله، فنقول لمن فقد أحد هؤلاء ما قاله جبريل لمحمد ﷺ: «**عِشْ ما شئت فإنك ميت، وأَحْبب من شئت فإنك مُفَارقه**».

ونقول له أيضًا قول النبي ﷺ في الحديث: يقول الله تعالى: «**ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صفيّه من أهل الدنيا، ثمّ احتسبه إلّا الجنّة**».
(رواه البخاري)

والصفيّ: هو الحبيب القريب من المرء أكثر من غيره.

وما أجمل ما قاله الأعرابي لابن عباس يعزيه لما مات العباس رضي الله عنهما:

اصبرنك بك صابرين فإنك ... صبر الرعية عند صبر الراس

خير من العباس صبرك بعده ... والله خير منك للعباس

فنقول للمبتلى: خير ممن مات ثواب صبرك بعد موته، فلا تحزن على من مات طالما كان مؤمنًا، فالله خير له منك فهو عند الله يتنعم بالجنة.

ونقول له أيضًا: احمد الله أن كانت المصيبة في الدنيا ولم تكن في الدين، ولتنظر إلى غيرك ممن كان بلاؤه أشد من بلائك لتصبر ولترضى ولتحمد الله.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما ابتليتُ ببلاءٍ إلّا كان لله تعالى عليّ فيه أربع نعم: إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم، وإذ لم أُحرم الرضا به، وإذ أرجو الثواب فيه».

وقال رجلٌ لسهل: «دخل اللص بيتي وسرق متاعي»، فقال: «اشكر الله أن لم يدخل الشيطان قلبك فيفسد عليك إيمانك».

ونقول له أيضًا: ما قاله عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأشعث بن قيس: «إنّك إن صبرتَ جرى عليك القلم (القدر) وأنت مأجور، وإن جزعتَ جرى عليك القلم وأنت مأزور» يعني: أنّ الجزع لا يغيّر المقدور ويكون على العبد فيه الوزر والإثم.

ونقول له أيضًا: بالصبر يتوقع الفرج، ومن يدمن قرع بابٍ يلج، وقيل: مَنْ صبر نال المنى، ومن شكر حصّن النعم، ونقول له أيضًا: لتعلم أنّ الدنيا إلى فناءٍ وأنّ لها آجالًا منصرمة، فالدنيا أمد والآخرة أبد، وأنّها يعقب فرحَها ترحٌ، فعلى قدر السرور بها يكون الحزن عليها، فلِمَ الجزع لفقد الأحباب، وهذه هي طبيعة الدنيا حتى **قال بعض الحكماء**: «من بلغ غاية ما يحب من الدنيا فليتوقع غاية ما يكره»، وقال آخر: «المفروح به هو المحزون عليه».

ونقول له أيضًا ما قاله وهب بن منبه: «لا يكون الرجلُ فقيهًا كامل الفقه حتى يَعُدّ البلاء نعمةً؛ فإنّ صاحب البلاء ينتظر الرخاء، وصاحب الرخاء ينتظر البلاء».

وليتأمّل المبتلَّى هذه الكلمات المباركة التي قالها ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا ينبغي للمؤمن أن ينزعج من مرضٍ أو نزول موت، وإن كان الطبع لا يملك، إلّا أنّه ينبغي له التصبر مهما أمكن؛ إمّا لطلب الأجر بما يعاني، أو لبيان أثر الرضى بالقضاء، وما هي إلّا لحظات ثمّ تنقضي، وليتفكر المعافى من المرض في الساعات التي كان يقلق فيها أثناء المرض أين هي في زمن العافية؟ ذهب البلاء وحصل الثواب، كما تذهب حلاوة اللذات المحرّمة ويبقى الوزر، ويمضي زمان التسخط بالأقدار ويبقى العتاب».

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للمؤمن في الشدة أن يراعيَ الساعات ويتفقد فيها أحوال النفس، ويتلمح الجوارح مخافة أن يبدوَ من اللسان كلمة أو من القلب تسخُّط، فكأنْ قد لاح فجرُ الأجر فانجاب ليل البلاء، ولقد رأيتُ كثيرًا من المغفلين يظهر عليهم السخط بالأقدار، وفيهم مَنْ قلّ إيمانه فأخذ يعترض، وفيهم من خرج إلى الكفر ورأى أنّ ما يجري كالعبث، فنسأل اللهَ عَزَّ وجَلَّ عقلًا مسلِّمًا يقف على حدِّه، ولا يعترض على

خالقه ومُوجده، ثمّ الويلُ للمعترض، أيُردُّ اعتراضُه الأقدار؟!! فما يستفيد إلّا الخزي، نعوذ بالله ممّن خُذِل». ونقول للمبتلَّى أيضًا ما قاله أحد الحكماء: «الجزع لا يَرُدُّ الفائت، ويسر الشامت»، وقال آخر: «من أحب البقاء فليعدّ للمصائب قلبًا صبورًا»، وقال مطرف: «ما شيءٌ أعطى به في الآخرة قدر كوزٍ من ماء، إلّا وددتُ أنّه أُخذ منّي في الدنيا» يقصد أنّ المؤمن لا يجزع لنزول البلاء لأنّه يوفِّر له الثواب كاملًا يوم القيامة.

وقال قيس بن عَباد: «ساعات الوجع يذهبن بساعات الخطايا».

وأنشد بعضهم:

اصبري أيتها النفس فإنّ الصبر أحجى ... ربّما خاب رجاءٌ وأتى ما ليس يُرجى

تنبيهات:

١- من مات لها زوج فأحسنت تربية أولادها من بعده فلها الثواب الجزيل، ففي الحديث: «**أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة كهاتين**» (رواه مسلم).

فاليتيم من مات أبوه قبل بلوغه، وليس من ماتت أمه، فإذا أنفقت الأم على صغارها بعد موت زوجها فهي كافلة أيتام.

٢- خطب معاوية أم الدرداء بعد وفاة أبي الدرداء، فقالت: قال لي أبو الدرداء: إذا أردت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي من بعدي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المرأة في الجنة لآخر أزواجها**» وهو حديث صحيح، وأما حديث: «**تخير المرأة بين زوجيها**» فهو حديث ضعيف لا حجة فيه.

قلتُ: فالمرأة التي مات زوجها هي التي تختار زوجها في الجنة، فربما كان الزوج الثاني أفضل كأم سلمة لما تزوجت رسول الله ﷺ بعد أبي سلمة، وربما كان خيرًا لها أن تصبر لتحسن تربية أولادها خاصة لو خشيت سوء معاملة الزوج الثاني

لأولادها، وفي الحديث: يقول رسول الله ﷺ: «**أنا أول من يفتح باب الجنة فأرى امرأة تبادرني (تسابقني)، فأقول: ما لكِ؟ ومن أنت؟، فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي**» (رواه أبو يعلى وحسنه المنذري)، وإن كان في سنده كلام إلا أن معناه يشهد له حديث: «**أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة كهاتين**»، ولا يعني ذلك استحباب ترك المرأة للزواج بعد زوجها، فربما لم تجد ما تنفق به على أولادها، فزواجها من رجل صالح ينفق على أولادها ويحسن إليهم خير لها، كما أنّها قد تحتاج إلى الزواج إعفافًا لنفسها؛ فإنّ الزواج أغضّ للبصر وأحصن للفرج، كما في الحديث.

٣- زواج الرجل من بعد زوجته لمصلحة لا ينافي حسن العشرة، فقد تزوج رسول الله ﷺ من بعد خديجة رضي الله عنها، ولكن عليه أن يصل أهل ودها كما كان يفعل رسولنا مع صديقات وأقارب خديجة رضي الله عنها، وليكثر من الدعاء لها والصدقة عنها ما استطاع.

٤- يستحب للمرء أن يصل أهل ود أبويه من بعدهما، ففي الحديث: «**من أحب أن يصل أباه في قبره؛ فليصل إخوان أبيه من بعده**» (رواه ابن حبان، وصححه الألباني).

ولقي ابن عمر رجلًا من الأعراب فأهداه وأغلى له وقال: إن أباه كان ودًا لعمر ابن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه**» (رواه مسلم).

٥- يحرم إحداد المرأة أو الرجل على ميت فوق ثلاث ليال، ففي الحديث: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوجها، فإنها تحدُّ عليه أربعة أشهر وعشرًا**» (متفق عليه).

قلتُ: الإحداد هو ترك الزينة والطيب، وترك ملابس الزينة، فلا يحل فوق ثلاث، ولو على أب أو أخ أو ولد إلا الزوج، فإنّ المرأة تحد عليه أربعة أشهر وعشرًا.

الفَصْلُ الخَامِسُ

في الرضا والشكر

وقد سبق بيان الفارق بينهما وهو أنّ الراضي لا يتمنّى زوال البلاء بل يرضى بما يقضيه الله سواء أقضى باستمرار البلاء أم بزواله، وأمّا الشاكر فهو كذلك أيضًا ولكن يشكر على البلاء كما يشكر على الرخاء، وكلاهما مستحبٌّ متأكد الاستحباب.

أولًا - الرضا:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرضا من أعمال القلوب نظير الجهاد من أعمال الجوارح، فإنّ كلَّ واحدٍ منهما ذروة سنام الإيمان».

وقال أيضًا: «وطرق الرضا طرق مختصرة، قريبة جدًا، موصلة إلى أجلّ غاية، ولكن فيها مشقة، ومع هذا فليست مشقتها أصعب من مشقة طريق المجاهدة، ولا فيها من العقبات والمفاوز ما فيها، وإنّما عقبتها همّةٌ عالية، ونفسٌ زكية، وتوطين النفس على كل ما يرد عليها من الله، وثمرة ذلك الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالى، فهي طريق تُسيّر العبد وهو مستلقٍ على فراشه، فيصبح أمام الركب بمراحل».

قلتُ: علم المؤمن برحمة الله وكمال حكمته وكمال علمه يجعله مطمئنًا إلى اختياره له راضيًا به واثقًا في ربه متوكلًا عليه حتى يكون كما قال يحيى بن معاذ: «الراضي من أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه، فيقول: إن أعطيتني قبلتُ، وإن منعتني رضيتُ، وإن تركتني عبدتُ، وإن دعوتني أجبتُ».

وقال بعض الصالحين: «من توكل على الله، ورضي بما يقدره الله، فقد أقام الإيمان وفرّغ يديه ورجليه لكسب الخير».

وروى ابن المبارك ـ بسندٍ صحيح ـ عن أبي الدرداء أنّه قال: «ذروة الإيمان أربع خلال: الصبر للحكم، والرضا بالقدر، والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب عزّ وجلّ».

وقال أبو معاوية الأسود في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧)، قال: «الرضا والقناعة».

قلتُ: وقد أخبر ﷺ أنّ الرضا والقناعة كنزان فقال: «**لا حول ولا قوة إلّا بالله كنزٌ من كنوز الجنّة**» أي: من شهد ذلك بقلبه ـ وذلك يورثه الرضا والقناعة ولابد ـ كان مالكًا لكنزٍ من أعظم الكنوز التي يمتلكها أهل الجنّة؛ فهم يشهدون بقلوبهم ذلك المعنى ـ أعني ألّا حول ولا قوة إلّا بالله ـ على الدوام في الجنّة.

وقال سفيان: «لا يكون المرءُ غنيًا أبدًا حتى يرضى بما قسمه الله وقدّره».

فائدة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتاب (مدارج السالكين):** «الرضا يصح بثلاثة شروط:

الأول ـ استواء النعمة والبلية عند العبد؛ لأنّه يشاهد حسن اختيار الله.

الثانيـ سقوط الخصومة عن الخلق إلّا فيما كان حقًا لله ورسوله، فالراضي لا يخاصم ولا يعاتب إلّا فيما يتعلق بحق الله، فالمخاصمة لحظِّ النفس تطفئ نور الرضا وتذهب بهجته، وتبدل بالمرارة حلاوته، وتكدِّر صفوه.

الثالثـ الخلاص من المسألة للخلق والإلحاح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة: ٢٧٣)» (انتهى كلامه بتصرف).

ثانيًا ـ الشكر:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتاب «عدة الصابرين»**: «قرن سبحانه الشكر بالإيمان وأخبر أنّه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا، ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ (النِّسَاء:١٤٧) وأخبر سبحانه أنّ أهل الشكر هم المخصوصون بمنّته عليهم من بين عباده فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الأَنْعَام:٥٣).

وأول وصيةٍ وصّى بها الإنسان بعدما عقل عنه؛ بالشكر له وللوالدين فقال: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان: ١٤).

وأخبر سبحانه أنّما يعبده من شكره، فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته، فقال: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البَقَرَة:١٧٢)، وأمر نبيه موسى أن يتلقّى نعمة النبوة والرسالة والتكليم بالشكر، فقال: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الأَعْرَاف:١٤٤).

وأثنى سبحانه على أول رسولٍ بعثه إلى الخلق بالشكر، فقال: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (الإِسْرَاء:٣).

وقد وقف سبحانه كثيرًا من الجزاء على المشيئة كقوله: ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ﴾ (التَّوبَة:٢٨)، وقوله في الإجابة: ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ ﴾ (الأَنْعَام:٤١)، وقوله في الرزق: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾ (البَقَرَة:٢١٢)، وفي المغفرة: ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ (آل عِمْرَان:١٢٩)، والتوبة: ﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ (التَّوبَة:١٥)، وأمّا الشكر فأطلق، وقال: ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (آل عِمْرَان: ١٤٤)، ولمّا عرف عدو

الله إبليس قدر مقام الشكر وأنّه من أجلّ المقامات وأعلاها جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧)، ووصف سبحانه الشاكرين بأنّهم قليلٌ من عباده فقال: ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (سبأ: ١٣)، وعلّق سبحانه المزيد بالشكر، والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره، فقال: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ (إبراهيم: ٧)، وأخبر سبحانه أنّ رضاه في شكره، فقال: ﴿ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ ﴾ (الزمر: ٧)، وأخبر سبحانه أنّ الشكر هو الغاية من خلقه وأمره، بل هو الغاية التي خلق عبيده لأجلها: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٨)، فهذه غاية الخلق، وغاية الأمر فقال: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ (البقرة: ١٥١، ١٥٢)، وقال: ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (آل عمران: ١٢٣)، وقوله: ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ تعليلًا لقضائه لهم بالنصر ولأمره لهم بالتقوى معًا، وأثنى على خليله بشكره لنعمه: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (النحل: ١٢٠، ١٢١)، فأخبر بأنّه أمّة يؤتم به في الخير، وأنّه قانتٌ لله، وحنيف مقبلٌ على الله معرضٌ عما سواه، ثمّ ختم له هذه الصفات بأنّه شاكرٌ لأنعمه، فجعل الشكر غاية خليله» (انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ملخصًا وهو كلامٌ نفيسٌ).

وقال ابن أبي الدنيا: «بلغني عن بعض العلماء أنّه قال: ينبغي للعالم أن يحمد الله على ما زوى عنه من شهوات الدنيا كما يحمده على ما أعطاه، وأين يقع ما أعطاه الله والحساب

يـأتي عليـه، إلى مـا عافـاه الله ولم يبتله به فيشـغل قلبـه ويتعب جوارحه، فيشـكر الله على سكون القلب وجمع همّه».

وقـال أبو حـازم: «نعمة الله فيما زوى عنّـي من الدنيا أعظم مـن نعمته فيما أعطاني منها، إنّي رأيته أعطاها أقوامًا فهلكوا، وكلُّ نعمةٍ لا تقرِّب من الله فهي بلية».

وقال ابن المبارك: «قال سفيان: ليس بفقيه من لم يعدّ البلاء نعمة».

وقـال حبيـب بن عبيد: «مـا ابتلى الله عبدًا ببلاء إلّا كان به عليـه فيه نعمة ألّا يكون أشدّ منه».

وقال ابن أبي الحواري: «جلس الفضيل وسفيان بن عيينة ليلةً إلى الصباح يتذاكران النعم، فجعل سفيان يقول: أنعم الله علينا في كذا وكذا».

وقال عمر بن الخطاب لرجلٍ: «كيف أصبحت؟ قال: أحمد الله، فقال عمر: هذا ما أردتُ منك».

وأتـى فقـير إلى بعض الصالحين يشـكو فقره إليه وأظهر شـدة اغتمامه بذلك، فقال لـه: أيسرك أنّك أمّي ولك عشرة آلاف درهم؟ قـال: لا، قال: أيسرك أنّك أخرس ولك عـشرة آلاف درهـم؟ قال: لا، قال: أيـسرك أنّك أقطع اليديـن والرجلين ولك عشرون ألفًا؟ قال: لا، قال: أيسرك أنّك مجنون ولك عشرة آلاف؟ قال: لا، قال: أما تسـتحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفًا.

ويُـروى عـن بعض الفقـراء الحافظين لكتاب الله أنّه اشـتد به الفقـر حتى ضاق به ذرعًا، فرأى في منامه كأنّ قائلًا يقول له: أتودّ أنّا أنسيناك سورة الأنعام ولك ألف دينار؟ قال: لا، قال: فسورة هود؟ قال: لا، قال: فسورة يوسف؟ قال: لا، قال: فمعك ما يزيد على مائة ألفٍ وأنت تشكو؟ فأصبح وقد سُرِّي عنه.

قلتُ: يقصد أنّ سور القرآن تزيد على مائة سورة، فلا ينبغي لمن أنعم اللهُ عليه بحفظ القرآن والعمل به خصوصًا، وكذا من أنعم الله بنعمة الدين عمومًا أن يحزنا لما فاتهما من الدنيا، فإنّ نعمة الدين أجلّ وأعظم، ففي الحديث: «**إنّ الله يعطي الدنيا من أحب ومن لم يحب، ولا يعطي الدين إلّا لمن أحبّ**»؛ ولذا كان ﷺ يستعيذ من مصيبة الدِّين فيقول: «**ولا تجعل مصيبتنا في ديننا**».

وإذا كان الأمر كذلك لزم أن يكون الشكر على نعمة الدين أعظم من الشكر على النعم الأخرى التي بها صلاح الدنيا.

قال أبو الدرداء: «من لم يعرف نعمة الله عليه إلّا في مطعمه ومشربه، فقد قلّ علمه وحضر عذابه»؛ ولذا أيضًا كان العاصي غير شاكرٍ لله على الحقيقة وإن شكر بلسانه على نعم الدنيا، وقد مرّ محمد بن المنكدر بشاب يغامز امرأةً، فقال: يا فتى ما هذا جزاء نعم الله عليك.

الفصل السادس
آداب التعزية

١- **تُشرع تعزية المسلم**؛ ففي الحديث: «**ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حُلَل الكرامة يوم القيامة**» (رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني).

وتشرع تعزية الكافر؛ فإنها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، والمعزي يحث المصاب على الصبر وينهاه عن الجزع، خاصةً عند ظهور الجزع والسخط من الكافر.

٢- **لا تشرع التعزية بعد ثلاثة أيام**؛ لأنها مدة الإحداد، وحتى لا يُذكِّر المعزي المصاب بمصيبته؛ فإن ظهر من المصاب جزع أو سخط صبّره الناس ولو بعد ثلاث.

٣- **لا تجوز التعزية بقوله**: «البقية في حياتك»، إذ توحي بأن الميت مات وهو ناقص العمر، ففي هذا منافاة لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل: ٦١)، فلو كان للميت أَجَلٌ لعاش حتى يستكمله، فالسُّنّة أن يقول المعزي كما علمنا رسولنا ﷺ: «**إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مُسمى فلتصبر ولتحتسب**»، ولا بأس أن يقول: «البقاء لله».

٤- **يستحب لأقارب الميت**: صنع الطعام لأهل الميت، ففي الحديث: لما مات جعفر بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا الطعام لأهل أخيكم، فإنه قد أتاهم ما يشغلهم**» (رواه أبو داود وصححه الألباني).

٥- **يحرم إقامة السرادقات التي يقرأ فيها القرآن**، وكذا اجتماع الناس في بيت الميت للتعزية ففي الحديث: «كنّا نرى الاجتماع إلى أهل الميت، وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة» (رواه أحمد وصححه الألباني).

وقد أخبر الرسول ﷺ في الحديث الصحيح بحال أولئك القراء الذين يقرأون في الشوادر للتكسُّب، فقال: «**اقرأوا القرآن واسألوا الله به، فإنه سيجيء أقوامٌ يقرؤون القرآن ويسألون الناس به**» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

الخاتمة

لا منافاة بين الرضا والحزن على فقدان الأحبة، كما تقدم في هذه الرسالة، ولكن على المبتلَّى بفقد الأحبة أن يتسلَّى بما ذكرناه في هذه الرسالة من آيات وأحاديث وأقوال السلف، وليعلم بأنَّ الخسران الحقيقي والفقد الحقيقي هو فقدان المرء لأحبته يوم القيامة؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (الشورى: ٤٥)، فمن أراد ألا يحال بينه وبين أحبته، فليحرص على طاعة الله وليحث من يحبهم على الطاعة لئلا يُفرق بينه وبينهم يوم القيامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٦٧)، وإلا فلابد من تفرق الأحبة في هذه الدنيا، فطوبى لمن اجتمع مع إخوانه على محبة الله وافترق عنهم وهم على ذلك، ففي الحديث الصحيح المعروف: «**سَبْعةٌ يظلُّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»، وذكر منهم: «**ورجلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه**».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..